النشاط الثقافي في الوطن العربي

العراق

اعمال مؤتمر الادباء العرب

***

عقد مؤتمر الادباء العرب دورته الخامسة في بغداد ما بين الخامس عشر والخامس والعشرين من شهر شباط (فبراير) الماضي ، وكانت الايام الخمسة الاخيرة منه مخصصة لمهرجان الشعر الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون في الجمهورية العربية المتحدة .

وقد شاركت جميع البلاد العربية في هذا المؤتمر بوفود رسمية ، ما عدا لبنان الذي مثله وفد من الادباء تلقوا دعوات خاصة من اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

ومثل الامانة العامة لجامعة الدول العربية الاستاذان محمد التهامي وقاسم محمد الخطاط .

ومثل الجمهورية العربية المتحدة وفد مؤلف من الاساتذة الدكتورة سهير القلماوي ، الدكتور مهدي علام ، الدكتور يوسف ادريس ، الدكتور محمد مندور ، يوسف السباعي ، عبد الرحمن شرقاوي ، عباس خضر ، زكي غنيم . اما الذين تلقوا دعوات شخصية ، فهم الاساتذة امين الخولي ، الدكتورة بنت الشاطيء ، الدكتور محمد احمد خلف الله، شريفة فتحي ، روحية القليني ، كريمة مبارك ، احمد رامي ، صالح جودت ، الدكتور زكي نجيب محمود ، محمود حسن اسماعيل ، عبد الرحمن صدقي ، احمد الحوفي ، كمال سامح .

ومثل المغرب بدعوة شخصية الاستاذا عبد الكريم غلاب وحسن السايح .

ومثل الجزائر الاستاذان عبد الله الركيبي وصالح خرفي .

ومثل تونس الاساتذة امين الشابي ومصطفى الفارسي واحمد اللغماني .

ومثل ليبيا الاساتذة عبد الله القويري ورجب الماجري وعلي صدقي عبد القادر .

ومثل السودان الاساتذة محمد المهدي مجذوب والتيجاني عامر وعلي عبد الله يعقوب .

ومثل اليمن الاساتذة سعيد الشيباني ومحمد الشريفي واحمدنعمان

ومثل منظمة التحرير الفلسطينية الدكتور اسحق موسى الحسيني وسميرة عزام ومحمود الحوت

ومثل الاردن الدكتور ناصر الدين الاسد ومحمود الروسان وحسني فريز .

ومثل السعودية الاساتذة عبد الله بن خميس وحسن كتبي وعبد الله عبد الجبار .

ومثل سوريا الاساتذة فؤاد الشايب وجودت الركابي وسليم الزركلي ووداد سكاكيني والدكتور شكري فيصل ومطاع صفدي .

ومثل الكويت الاساتذة عبد الرزاق البصير وعبد الله سنان وسيف مرزوق الشملان واحمد السقاف .

ومثل قطر الاستاذ مصطفى البنداري . ومثل البحرين الاستاذ حسن جواد الجشي . ومثل عمان الاستاذ محمد عدي .

ومثل لبنان الاساتذة الشيخ نديم الجسر وحسن الامين والدكاترة خليل حاوي ، احسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد ، سهيل ادريس .

اما العراق فقد شارك عدد كبير من ادبائه في المؤتمر ، ومنهم الاساتذة عبد العزيز الدوري ، عبد الرزاق محيي الدين ، جميل سعيد ، مصطفى جواد ، محمد بديع شريف ، حافظ جميل ، عبد الهادي محبوبه ، علي الزبيدي ، عائكة الخزرجي ، نازك الملائكة ، خديجة الحديثي ، احمد مطلوب ، جمال الالوسي ، فريد فتيان ، خالد الشواف ، نعمان ماهر الكنعاني ، عبد الرزاق الهلالي ، احمد الواثلي ، ياسين خليل ، علي الخاقاني ، هلال ناجي ، فيصل حسون ، خالد العربي ، عبد الحميد العلوجي ، سعيد الديوجي .

وكان المؤتمر يصدر نشرة يومية مطبوعة بعنوان « المؤتمر : صحيفة مؤتمر الادباء العرب الخامس » تتضمن اخبار المؤتمر والوفود وتعليقات الادباء ، واعتذارات الذين اعتذروا عن الحضور وهم كثيرون .

حفلة الافتتاح

وقد افتتح المؤتمر اعماله مساء الاثنين في ١٥ شباط ، فالقى الرئيس عبد السلام محمد عارف كلمة جامعة رحب في مطلعها بوفود الادباء وقال ان بغداد العروبة تعيد ماضي مجدها الزاهر بالتقاء ابناء العروبة وتمد يدها لاشقائها في الوطن العربي لجمع الشمل في هدف واحد وصف واحد بل في دولة العرب الوحدوية الكبرى . ثم تحدث رئيس الجمهورية العراقية عن ماضي بغداد الزاهر ،وتطرق الى محاولات الاستعمار الذي لا يزال يكيد لثورة اليمن ويعبيء قواه للقضاء على عروبة الخليج العربي ، وقال ان قوميتنا قومية انسانية عادلة ، وان لا استقرار في الشرق الا بوحدة الامة العربية ، ودعا الادباء الى تهيئة الجيل لوحدتنا القومية ، وانهى خطابه بالتاكيد على ان العراق حكومة وشعبا يسند الادباء في تنفيذ مقرراتهم وتوصياتهم .

ثم توالى على الكلام الدكتور عبد الرزاق محيي الدين الذي القى كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، والاساتذة قاسم الخطاط واميين الشابي وناصر الدين الاسد والتجاني عامر وحسن كتبي ويوسف السباعي واسحق موسى الحسيني وعبد الرزاق البصير وسهيل ادريس ورجب الماجري وسعيد الشيباني وحسن جواد الجشي ومحمد عدي ومصطفى البنداري . والقى كلمة الختام الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس وفد الجمهورية العراقية .

محاضرات « الادب والثورة »

كان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله ابحاث المؤتمر واعمال لجانه « دور الادب في معركة التحرير والبناء » ، وقد انقسمت الابحاث الى عدة موضوعات فرعية تناولت « الادب والثورة » و « الادب والبناء» و « الادب والتراث » و « الادب وفلسطين » . وقد شكلت لكل من هذه الابحاث لجنة خاصة تدارست الموضوعات وناقشتها وخلصت الى

توصيات عامة بشأنها ، كما شكلت لجنتان لوضع قانون لاتحاد الأدباء العرب وقانون لحماية حقوق المؤلفين . وصباح يوم الاحد ٢١ شباط التأم جميع اعضاء المؤتمر في جلسة عامة ليستمعوا الى التوصيات التي اقرتها اللجان ويناقشوها ، وقد صدقوا عليها بعد مناقشات طفيفة تصديقا اجماعيا (ويراها القاريء في مكان اخر) .

اما المحاضرات التي القيت في اليوم الثاني من ايام المؤتمر فكانت: « الادب ومعركة التحرر في السودان » للاستاذ محمد مهدي مجذوب ، و « الثورة في الادب العربي » للاستاذ سعيد الشيباني و « الادب ومعركة التحرر » للاستاذ علي صدقي عبد القادر ، و « محمد العيد وملامح من المأساة الاستعمارية » للاستاذ صالح خرفي . وقد عقب على هذه المحاضرات الدكتور احسان عباس ، بالكلمة التالية:

تعليق الدكتور احسان عباس

استمعنا اليوم الى موضوعات اربعة تتحدث في « الادب والثورة » استهلها الاستاذ محمد المهدي المجذوب ببحث في « دور الادب في معركة التحرير والبناء في السودان » ، وقد اطال المحاضر في عرض الجانب التاريخي المتصل باستقرار العرب وانتشار الثقافة العربية في السودان ، وتدرج مع التاريخ منذ معركة اربجي عام ١٥٠٠ حتى اليوم ، فلما بلغ الفترة الحديثة التي شهد فيها الادب خصبا وغنى نسبيا من حيث صلته بحركة التحرر في الوطن السوداني ، مر بها مسرعا ففوت علينا استجلاء هذا الجانب الهام وقد يعذر الاستاذ المجذوب على الاطالة في الجانب التاريخي لانه شاء ان يرسخ في الاذهان حقيقة كبيرة لعله كان يحس ان اخوانه العرب في الاقطار العربية الاخرى بحاجة الى توكيدها ، وتلك هي اصالة العروبة في السودان وعمق الجذور الثقافية العربية فيه . وامعن السيد المحاضر في انتزاع امثلته على صلة الادب بالثورة من الشعر المروي باللهجة السودانية الدارجة واحتاج الى ان يترجمه في لغة فصحى ، وربما خيل بذلك لبعض المستمعين ان اهل السودان يتكلمون لهجة غريبة الوقع والمنزع ، وليس الامر كذلك ، فان لهجة السودان عربية جميلة سائغة ، ومن السهل ان تصبح مفهومة لدى ابناء الامة العربية في الاقطار الاخرى بعد شيء قليل من الالفة ، غير ان الصعوبة انما نجمت عن ان الشعر العامي الذي استشهد به المحاضر انما هو شعر قديم يرجع الى القرن التاسع عشر واكثره مما قالته الشواعر لا الشعراء ، وللشواعر معجم يكاد يكون خاصا بهن . وهذه الالتفاتة الى الشعر المروي باللغة الدارجة قد نبهتنا الى ناحية هامة وهي ان ثورية الادب في الاقطار العربية يجب ان لا تقتصر دراستها على الادب الفصيح بل تلتمس في نواح اخرى ، فان الروح الحية لدى الشعب تعبر عنها في صور مختلفة . وقد كشف الاستاذ المجذوب في بحثه عن نقطة اخرى هامة حين حدثنا ان الادب الصوفي في السودان لم يكن ادبا فرديا او انعزاليا بل كان اغنية شعبية تستثير الهمم وتحفزها الى البذل والعطاء في سبيل الغايات النبيلة وتلك مأثرة للادب الصوفي السوداني قد نفتقدها في سائر الادب الصوفي في عصور انحطاط اللغة . غير انه لا يفوتني هنا ان استكثر نسبة الابيات التي رواها للشيخ فرح ودتكتوك ، فان القصيدة التي يرددها السودانيون من شعره منحولة دون ريب وقد وجدت منهاابياتا ترجع الى العصر العباسي الاول .

وثاني الابحاث بحث للاستاذ سعيد الشيباني وزميله الاستاذ محمد شرفي ، واحب ان اؤكد للمستمعين ان الخلاصة التي استمعوا اليها تختلف من جوانب كثيرة عن البحث المكتوب ، ولست ادري سرا لهذا التغيير ، ولكني اعلم يقينا أن البحث المكتوب تناول مقدمة في تعريف ادب الثورة ذهب فيها الباحثان الى القول بأن ادب الثورة ادب ينطلق من التقوقع والانعزال ، وينزل الى الشعب وينير طريق المستقبل ويلهب جلود المتسلطين والمستعبدين ، وانه ادب انساني يعبر عن الحقيقة المكظومة ولغة الحياة وان الثورة مصنع للجمال والحق والخير ، وتلمس الباحثان شواهد الادب الذي يمهد للثورة بذكر ما فعله الادبان الفرنسي والروسي في تحريك الثورتين الفرنسية والروسية . ثم شفعا هذه المقدمة بفصل تحدثا فيه عن الثورة والمجتمع العربي الجديد ، وعالجا جوانب من أدب الثورة في اليمن ، فاطالا في عرض التاريخ اليمني وما يتصل به من ادب منذ الثورة على الحكم التركي حتى اليوم ، ثم درسا الادب والثورة في فلسطين والجزائر وعرضا لنماذج كثيرة من الشعر الذي سار في موكب الثورات في العالم العربي ، فجاء بحثهما طويلا ، او ان شئت فقل انه كان عدة ابحاث مجموعة في نطاق واحد . وقد كانا يفيان بالغرض المطلوب لو انهما اكتفيا بدراسة الادب اليمني وانارا الجوانب التي يجهلها ابناء الامة العربية في الاقطار الاخرى ، فذلك حسبهما فيما اقدر . ونلتمس الركائز الفكرية الفلسفية لكل هذا في بحث الاستاذين الكريمين فلا نجد منها الا قدرا يسيرا ، ذلك ان الاستمرار في عرض النماذج في مدى يتجاوز خمسين صفحة ليس من الممكن ان يصنع موضوعا راسخ الاسس مستكمل الصورة فان الضرب في هذا التيه لا يقف عند حد ، ويجعل العرض نوعا من الاستملاح للشواهد ، غير ان ما ورد في هذا البحث عن تاريخ الشعر اليمني مفيد موضح قائم على معرفة الاحداث والبواعث والاسباب وهو خير ما تضمنه هذا البحث ، وكنت اتمنى لو ان الباحثين الكريمين في الخلاصة التي القيت قد التزما جانب التعبير العلمي الذي لا يتنزل الى المماحكة في النعبير أو الى الانفعالية الصارخة .

وعرض علينا الاستاذ المحامي علي صدقي عبد القادر الموضوع الثالث ، فجاء بحثه في موضوعين مقدمة في الناحية النظرية من الحديث عن معنى الثورة وعن حدود الثورية في الادب ، ثم عرض لجوانب من ادب الثورة في ليبيا . ولا يملك الانسان القاريء او المستمع لهذا البحث الا ان يوافق الاستاذ المحاضر على كثير من النقاط التي وردت في المقدمة رغم تبددها وانتشارها كقوله ان العمل الفني التزام ينطلق من رؤيا واضحة وانه في شكله الابداعي يمثل موقفا وان طبيعته هي التأثير والتفسير والتغيير . ويقول المحاضر ايضا ان العمل الفني الثوري من مميزاته الرفض وان الابداع وليد الثورية والرفض ، ويدعو الادب العربي النضالي الى ان يستكشف كل مدخرات الانسان العربي وموروثه النضالي كما يدعو اصحاب الحرف ليعيشوا قضايا شعبهم العربي ، وقد جاءت هذه المقدمة مستوعبة لنظرات مستمدة من مبادىء قد تكون احيانا متعارضة فمع ان الباحث يعارض مبدأ « الفن للفن » الا انه يستمد احكاما على الادب من صميم النظريات الدائرة حول هذا المبدأ ، ولعل هذه المقدمة قد مثلت بعد الهواة بين النظر والتطبيق ، ذلك ان الامثلة التي حاول ان يستشهد بها من الادب الليبي جاءت قاصرة عن الوفاء بما يريده الباحث في مقدمته ، كما كانت عرضا لنماذج ، ولا تتعدى ذاك الى شيء من التحليل والدرس .

ورابع هذه الابحاث بحث للاستاذ صالح الخرفي ممثل الجزائر درس فيه الشاعر الجزائري محمد العيد ، فصور لنا مرحلتين كبيرتين في حياته وشعره اولاهما مرحلة اليأس والانعزال والتوجع للآلام والبؤس من بعيد او ما يمكن ان نسميه عهد الشيخوخة المبكرة ، والمرحلة الثانية مرحلة الانطلاق من اسار العزلة ، والدعوة الى العمل والتحدي وتفجير الذاتية الصحيحة في الناس .

وقد مثل شعر محمد العيد هاتين المرحلتين فكان في الاولى بكاء وصراخا واستعطافا للسلطة المستبدة المستعمرة وتذكيرا لها باللطف والرفق ، ثم كان في الثانية فخرا بالامجاد القديمة واستنفارا للقوى الوطنية وكناية عن الحرية باسم « ليلى » او « الورقاء » حتى اذا حققت الجزائر اكبر انتصار في وجه الاستعمار والطغيان اصبح شعر محمد العيد تفاؤلا وحبورا وبسمة سعيدة . وقد جاء بحث الاستاذ صالح الخرفي متدرجا متطورا متكاملا ، تؤيده نماذج جيدة مختارة تدل على اصالة في شاعرية العيد وجزالة في اسلوبه .

واذا كانت الابحاث الثلاثة الاولى قد تناولت تاريخ الامة في حركتها المتطورة بالثورة ، فان البحث الرابع انما اقتصر على الموضوعات جميعا

ـ باستثناء بعض المقدمات ـ قد سارت حسب التطور التاريخي وغلب عليها العرض والاستشهاد بالنماذج ، وفي هذا نفسه ـ على قصور حدوده ـ فائدة محققة ، فان التعريف بالادب في الاقطار العربية من جانب صلته بالحركات التحررية امر ضروري وتمهيد لازم ، غير ان هذا كان سببا في اضعاف الناحية النظرية في هذه الدراسات جميعا والتقصير عن تحديد طبيعة الثورة والايديولوجية الثورية في الادب . وما الذي تبعته الثورة وما الذي تهدمه ، لقد قال احد المحاضرين ان الثورة رفض ولكن الرفض لا يبقى كذلك ابدا بل لا بد له من توجيه وتشديد لكي يصبح عاملا ايجابيا في حياة الامة . وهكذا نجد ان احدا من الباحثين لم يتحدث عن الفلسفة الكامنة وراء التزام الموقف الثوري . او النظرة الصحيحة من الزاوية التاريخية للامة . في تطورها نحو البناء ، وانما اكتفوا بعرض النماذج.

ثم ان هذه النماذج التي عرضت انما جاءت تراعي المضمون وحده دون نظر الى كونها صالحة او غير صالحة من جهة التعبير . وبعضها لا يمكن ادراجه في نطاق الفن الاصيل لانه ضعيف او متهافت ، وكل هذه النماذج او اكثرها من النوع المباشر في تعبيره وليس الادب الذي يعبر عن الثورية دائما مباشرا ، بل هناك ادب يوحي بكل معاني الثورة ، ادب يصور انتصار الخير على الشر دون ان يصرخ بانه ادب ثائر . بل ان التعبير المباشر عن الثورة متفاوت القيمة ومن الطبيعي ان نزاوج بين التاريخ والتقويم حين نعرض لهذا الموضوع . واحب ان الفت الانتباه الى ناحية غلبت على الابحاث الثلاثة الاولى وهي استشهاد حضرات الباحثين باشعار مما نظموه ، وهذه مسألة حساسة جدا ، ومن الخير ان ينسى الباحث نفسه ـ حتى ولو كان شاعرا ـ ويترك الحكم على اثاره ودوره في قضية امته لغيره من النقاد والدارسين .

ومن تعمق هذه الابحاث وجد ان الشعر ـ من الزاوية العملية ـ اتصل بالثورة على ثلاث مراحل :

١ ـ كان في اولى مراحله تململا وشكوى وصراخا وعويلا ضد استبداد المستعمر ، وكان الشعر في هذه المرحلة اشبه شيء بالخطابة ، والخطابة صورة من صور الوعظ ، وكان الشاعر يمثل الشعوب العربية المغلوبة على امرها في تصورها ان نيل الحقوق يتم بالاستلطاف والمفاوضة وما اشبه ذلك .

٢ ـ ثم سار في مرحلة ثانية هي مرحلة تخليد الانتصارات والتعبير عن النشوة بما حققته الشعوب من استقلال . وفي هاتين المرحلتين لم يكن الشاعر ثوريا بالمعنى الدقيق ، لان للشاعر الثوري ـ فلسفة ومنطلقا ووجهة ـ وانما كان شاعرا ـ مستثارا ـ ان صحت التسمية تثيره النكسات او الانتصارات استثارة مؤقتة ويجيء انفعاله تلقائيا مرتبطا بالحادثة ، دون ان يكون لديه نظرة شاملة الى مشكلات وطنه .

٣ ـ وتتلو هاتين المرحلتين مرحلة ثالثة هي مرحلة التخطيط من خلال الاشياء التي تحققت بطول الكفاح ، فتصبح ثورية الشاعر في هذا الدور نوعا من اتاحة الرؤية الصحيحة واشاعتها ويصبح الشاعر نفسه مخططا او مهندسا واكبر خطر على الشاعر الثوري ان يؤمن بان دوره قد انتهى ، فيركن الى الدعة ، او ان يسرف في رسم ـ يوتوبيا ـ مثالية لامته ، فيفقد الصلة بالواقع من حوله . الاديب في هذا الدور اخ للمفكر وصنو له ، فهو يشارك في عملية البناء مشاركة فعالة واضحة الجنبات .

ولهذا تفاوتت طبيعة الادب الثوري بتفاوت الاوضاع في البلاد العربية فبعضها ما يزال بحاجة الى ادب يمهد للثورة كي تتخلص من الاحتلال والاستبداد وبعضها قد اصبح دور الادب فيه ترسيخا وتأثيلا للقيم التي احرزت بالكد والتضحيات وتغييرا مستمرا وتطويرا للبناء ـ لان هناك وضعا افضل ـ في كل مرحلة ، ولهذا نرى ان بعض الادباء الثوريين ممن عجزوا عن التطور قد انتهت ثورتهم بجلاء المستعمر ، وبعضهم رأى ان الايديولوجية شيء لا يحتاج اليه المجتمع عندما يعاد بناؤه كما ان بعض القضايا مثل قضية فلسطين لا تزال تمثل استقطابا لجميع الوان الادب الثوري كما يتمثل في جميع المراحل ، ومن ثم كانت النظرة الى الوان هذا الادب متفاوتة ايضا لان الحكم عليه مرهون بمقدار صلاحيته للظروف السياسية والاجتماعية العامة .

ترى هل عملية التغيير هذه تفيد الادب دائما ؟ ان نظرنا الى استكمال خطة من النمو كان الجواب على ذلك بالايجاب ، غير اننا يجب ان لا ننسى ان عملية التغير هذه تفرض على الادب نقله من جو الى جو، وبتيسير الاديب استيضاح موقفه ونظرته على نحو اوسع ، فتوقعه في ازمة لانها تضرب بشدة على الاصول التي انشأ عليها ادبه في السابق وكثيرا ما يصبح التحول عليه امرا مستحيلا ، وكثيرا ما يصاب الادب نفسه باهتزاز اثناء التحول ، وليس ما نسميه ازمة في حياة الادب المعاصر الا استشعارا لضرورة الانطلاق ـ في اسس الادب ومهماته نحو غايات جديدة ، الا انها حالة مؤقتة سرعان ما يتغلب عليها الاديب ذو الشخصية القوية .

محاضرات ((الادب والبناء))

وفي اليوم الثالث القت الدكتور سهير القلماوي محاضرة بعنوان ((الادب والوحدة العربية)) والاستاذ مصطفى البنداري ((الادب والقومية العربية)) والاستاذ سيف مرزوق الشملان ((عروبة الخليج)) .

وقد ناقش محاضرة الدكتور قلماوي الشيخ احمد الوائلي والدكتور فاضل زكي والاساتذة نور الدين الواعظ وعلي البصري وهلال ناجي وعبد الرزاق البصير واحمد عبد المعطي حجازي .

وفي اليوم الرابع القى الدكتور ناصر الدين الاسد محاضرة بعنوان ((التراث والمجتمع الجديد)) والسيدة نازك الملائكة ((الادب والغزو الفكري)) والاستاذ منور صمادح ((الادب والغزو الفكري)) ايضا ، والاستاذ الشيخ نديم الجسر ((التراث بين الرجعية والتقدمية)) . وقد عقب الاستاذ الشيخ امين الخولي على المحاضرات تعقيبا عاما ، ثم القى الدكتور سهيل ادريس كلمة ناقش فيها محاضرة السيدة نازك الملائكة نثبتها فيما يلي :

تعليق الدكتور سهيل ادريس

ليسمح لي ان اعلق على محاضرة السيدة نازك الملائكة بما يلي :

المسألة الاولى : رسمت السيدة نازك الملائكة عن ادبنا القديم وادبنا الحديث لوحتين متناقضتين تناقضا جذريا . فكل ما في ادبنا القديم عظيم واخلاقي ومبدع ورائع . وكل ما في ادبنا الحديث منحط ضعيف متحلل ركيك . ما رأي المحاضرة الفاضلة مثلا في ادب ابي نواس وبشار والجاحظ ، وما ورد في كتب الادب التي تعتبر مرجعا رئيسيا من مراجعنا : كالاغاني والكامل والعقد وما اليها ؟ وما رأيها في نتاج الرافعي والزيات واحمد امين ونجيب محفوظ والعقاد وميخائيل نعيمه والحكيم وسواهم ؟ وشوقي وحافظ ومطران والشبيبي وو .. الم يكن واحد من هؤلاء يستحق كلمة عطف واحدة ؟ اصحيح ان بعض الانتاج السطحي المتحلل اليوم يحجب جميع تلك الاثار القيمة ؟

والحقيقة ان الرؤية التي تنظر بها المحاضرة الى ادبنا القديم وادبنا الحديث هي رؤية خاطئة مشوهة اصلا ، لان الطبيعة البشرية والعلم ينكرانها كل الانكار . ان الادب في اصله وطبيعته مرآة عاكسة للمجتمع الذي يعيش فيه ؟ أصحيح أن مجتمعنا العربي القديم كان مبرأ من جميع العيوب ؟ اذا كان الامر كذلك فلماذا سقطنا في عصور الانحطاط بعد هذا ؟ واذا كان مجتمعنا الحديث كما يعكسه الادب مليئا بالنقائص والعيوب ، فكيف استطاع ان يقوم بهذه الثورات العظيمة التي تدفع القومية العربية اليوم الى دنيا الشمس والامل ؟ ان نقيصة هذه المحاضرة الرئيسية هي انها تحاول ان تفصل الادب عن سياقه الاجتماعي، وتعطيه كصورة مستقلة ليس لها من جذور في تربة الواقع .

وقد كان احرى بالكاتبة ان تعلل بعض المظاهر الادبية مرتبطة بالمجتمع . لماذا نجد القضية الجنسية مثلا تحتل مكانا واسعا في نتاج

ادبائنا المعاصرين ، شعراء كانوا ام روائيين ام مسرحيين ؟ ولماذا يقبل القارىء العربي على هذا اللون من الادب ؟ أليس لان المجتمع العربي يعاني كثيرا من العقد الجنسية ؟ الاينبغي لعلماء الاجتماع والقادة والمسؤولين ان يهتموا بهذه المشكلات ويلتمسوا لها الحلول السليمة والصحيحة ؟ ولنفرض ان الادباء عندنا استجابوا للدعوة التي تدعو لها المحاضرة فكفوا عن كتابة هذا الادب ، ايكون هذا كافيا لاصلاح المجتمع وحل عقده ، ام انه يزيد هذه العقد ويضاعفها ؟

ان قضية الجنس ايها السادة قضية خطيرة في مجتمعنا ، وينبغي الا يكف الادباء عن معالجتها ، شعرا وقصة ومسرحية لان في كشفها على حقيقتها الطريق الى بدء معالجتها . اما اذا كان هناك من يعالج هذا الموضوع للاثارة الجنسية وحدها ، فانه سرعان ما يفتضح امره وينهار ما يكتب ، عند التقييم الادبي الفني . والواقع ان الدوائر المعنية تتخذ عادة التدابير التي تحمي الناشئة من ذلك الافساد ، وان كان هذا احيانا يستغل في بعض المواقف . والاديب الواعي الذي يلتزم قضية قومه يعرف كيف يعالج هذا الموضوع معالجة ايجابية بناءة ، فيما هو يحرص على الابقاء على الفنية والابتعاد عن الوعظ والتقريرية .

القضية الثانية : هذه الرؤية المشوهة التي تقدمها المحاضرة الفاضلة تبدو في ما تقوله عن واقع الحياة الاسلامية وهذا امر ينفصل عن العقيدة الاسلامية في صفائها المطلق كما عبر القرآن والحديث عنها. فنحن نعلم ان القرآن والحديث يحثان المؤمنين على طلب العلم من المهد الى اللحد ، ولو كان في الصين . غير ان هذا لم يمنع بعض رجال الدين في عصور الانحطاط من اضطهاد العلوم الطبيعية وتكفير الفلسفة واضطهاد التصوف ، فلا نستطيع ان ننسى امثال الحلاج والسهروردي وابن رشد في محنته الكبرى . وما تزال هذه التهم سيفا معلقا على رؤوس هؤلاء . كما اننا لا ننسى انه كان للكنيسة ضحايا كثيرون من رجال الفكر والادب .

المسألة الثالثة : هي الهجوم الصاعق الذي شنته المحاضرة على الفكر الغربي والادب الغربي . وهذا ايضا يهمل واقع الفكر العربي وطبيعة نتاجنا الحديث . ان أدبنا لا يزال في طور تكوين نفسه ، فهو مدعو الى ان يأخذ ويقبس ويقلد احيانا ، فيما هو يسعى الى تأصيل ذاته . ولقد سبق للغرب ان اقتبس طوال قرون من نور الحضارة العربية في القرون الوسطى ، وتأثر بها حتى اندرج هذا التأثر في كيان فكره ذاته . فليس من عيب ولا عار علينا ان نتأثر ونقتبس ونحن في طريقنا الى خلق حضارتنا وفكرنا الجديدين . اننا حين نقبس اليوم من الغرب ايضا ، نقبس بعض اثار فكرنا وماضينا وعراقتنا ونسترد بعض فضلنا ولكن هل صحيح اننا لا نقبس الا المتحلل والسطحي والفاسد ؟ وجهود جميع هؤلاء العلماء والباحثين والمدققين العرب ودراساتهم عن عيون الاداب الاجنبية ، اين ذهبت بها المحاضرة ؟ ان هذا الذي زعمته يشوه جميع اعمال المترجمين المحدثين .

ولا حاجة بي هنا الى ان اوضح انه ليس من اليسير دائما ان تقتبس الامة الضعيفة من الامة القوية الصالح والجميل والرائع وحده ، فانه لا مفر لها من ان يتسرب اليها بعض جوانب غير صالحة من هذا الادب والفكر . ولكنها تستطيع ان تكتشف هذا مع ازدياد وعيها واصالتها .

واما القضية الرابعة : فهي هجوم المحاضرة في سياق حديثها عن الترجمة ، على جان بول سارتر . وقد ذكرت ان سارتر يهودي ، ومثلما شوهت المحاضرة علاقة الادب بالواقع شوهت اصل الكاتب الفرنسي ، فليس صحيحا انه يهودي . ان امه بروتستانتية واباه كاثوليكي وهو يرجع في اصله الى اصل الماني من اسرة شويتزر ، وقد شرح ذلك في كتابه « الكلمات » ، ولم يذكر احد الا محاضرتنا الفاضلة انه يهودي . وانا لم اقرأ حتى الان اية كلمة تدل على ان سارتر يؤيد الصهيونية او اسرائيل .

ان المحاضرة تختلق اذن صفة ليست في انسان ، ولا تكتفي بذلك، بل تتجاهل وتنسى ان سارتر كان اكبر مؤيد واعظم مدافع عن اخطر قضية من قضايانا العربية : قضية الجزائر . تنسى هذا ، وتنسى انه من اكبر المفكرين الاحرار الذين يدافعون عن الحرية في جميع انحاء العالم ، في كوبا وفي افريقيا وفي الكونغو وفي كل مكان ... وبدلا من ذلك تزعم انه يهودي ، وهذا مع الاسف يتنافى مع اي منهج علمي .

ولنفرض ايها السادة أن سارتر كان يهوديا ، او يؤيد اليهود (وهو ليس كذلك على الاطلاق) . أفيكون من المنطق والعقل وحسن السياسة ان نهاجمه بهذا الاسلوب ، وهو الذي كان كسبا عظيما لنا في قضية الجزائر ، لانه كان على رأس من حولوا الرأي العام الفرنسي الى تأييد استقلال الجزائر ، ونال من ذلك الاضطهاد والاذى ؟ أفليس من الافضل ايجابيا وعمليا أن نحاول كسبه الى تأييد حق العرب في فلسطين ؟

انني اسمح لنفسي ايها السادة ان اضطر الى ان اذكر لكم هنا ، دون ادعاء ولا غرور ولا غوغائية ، اني وجهت الى جان بول سارتر بتاريخ ٣٠ كانون الثاني الماضي دعوة الى الحضور الى بيروت ، ضمن رسالة مطولة شرحت فيها مأساة النكبة الفلسطينية بالنسبة للعرب . وانا على استعداد لوضع هذه الرسالة تحت تصرف المؤتمر ليطلع عليها من يشاء من الاخوان الادباء . وقد قلت له في هذه الرسالة اني اريد ان ارافقه ذات يوم الى احد معسكرات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ، وهذا ما كان كل قصدي من توجيه تلك الرسالة اليه .

الا تعتقدون ايها الاخوة الكرام ان هذه طريقة افضل من مهاجمة الفكر الحر ؟ أليس اكتساب الفكر الحر الى قضايانا اجمل واروع واعمق في خدمة الفكر العربي من مهاجمته وتنفيره ؟ او ليس من واجب المسؤولين الواعين في مختلف البلاد العربية ان يدعوا سارتر الى زيارتها ليرى بعينيه ويعيش حقيقة الانسان العربي ويتبين جرم الصهيونية ؟

وبعد ، فقد اطلت عليكم ايها السادة ، فالمعذرة ، ولكنها قضية خطيرة من صميم قضايانا الفكرية ، هي قضية الامانة والصدق والاطلاع. ومن دلائل عدم الاطلاع هذا تشويه الفكر السارتري كما فعلت المحاضرة الفاضلة ، اذ ذكرت ان فلسفة سارتر تناقض روحيتنا وما الى ذلك . وهذا موضع نقاش طويل ليس له مكان الان ، ولكني ادعو المحاضرة الى دراسة سارتر دراسة عميقة موضوعية متكاملة لترى انه كاتب اخلاقي في الدرجة الاولى ، واننا نستطيع نحن العرب ان نأخذ منه دروسا كثيرة فيما نحن مقبلون عليه من نهضة ، لانه اكبر من دعا الى الحرية وربطها بالمسؤولية . ومن المؤسف ان تنظر الكاتبة اليه هذه النظرة السريعة التي لا يمكن ان اصفها الا بانها سطحية . واحب اخيرا ان اذكرها انها سبق ان كتبت في احد اعداد الاداب درسة موضوعية رائعة عن « الايدي القذرة » لسارتر وجهت له فيها اعظم آيات الثناء ، ولم تشر في لحظة من اللحظات الى انه كاتب لا اخلاقي !

صدر حديثاً

تأليف : عبد اللطيف شرارة

الصهيونية

جريمة العصر الكبرى

نشر : دار المكشوف

تعليق الدكتور علي الزيبدي

ونشرت صحيفة المؤتمر تعقيبا كتبه الدكتور علي الزبيدي على محاضرة السيدة الملائكة نثبته فيما يلي :

تتعرض الفكرة القومية او الايديولوجية القومية التي اصبحت نظرية وتطبيقا وعلما وعملا والتي استهدفت توحيد الشعب العربي وتحريره وتطويره وارتكزت على حضارته العربية ومقوماته القومية الى سريان بعض الدعوات التي لم تفهم حقيقة الموقف القومي من التراث العربي والحاضر العربي من جهة والتي تجهل او تتجاهل كثيرا من عناصر حاضرنا القومي ومستقبلنا الوحدوي التقدمي من جهة اخرى .

فان قلنا ان تطلعنا الى التجديد لا يعني اغفال ماضي تراثنا من مصادر الخير .

اردنا ان نعني في الوقت نفسه ان تصديرنا لتراثنا الخير لا يبرر شدة التخوف والتحرز من الجديد سواء كان هذا الجديد صادرا من تطورنا الطبيعي او مقتبسا من تراث الامم الاخرى غربية كانت امشرقية.

فموقفنا من التراث يجب ان لا يكون عاطفيا خياليا بحيث نجعل من الماضي معبدا مقدسا او صورة مثالية رومانتيكية يبعدها التزويق والخيال عن الحقيقة التاريخية . ففي تراثنا خير كما كان فيه شر وفيه جميل وفيه قبيح وفيه ذروة وفيه حضيض وما بين الذروة والحضيض من درجات يعلو بعضها بعضا ويدنو بعضها عنبعض.وموقفنا من ممتلكاتنا الفكرية والخلقية الحاضرة يجب ان لا يكون موقف المغرور الذي يظن انه كامل وهو ناقص وانه عالم وهو جاهل وانه نشط وهو كسول وما اجمل قول الاستاذ الخولي عندما نبه الى وجوب النظر الى عيوبنا ومحاسبة ذواتنا عن هذه العيوب قبل ان نلقي تبعتها على الاخرين . صحيح ان الغربيين الذين استعمروا بلادنا مسؤولون عن عدد من عيوبنا ونواقصنا ولكن مسؤوليتنا اعظم وحسابنا لذواتنا يجب ان يكون اشد عسرا ولو لم نقصر نحن علىنفوسنا وبلادنا لما وجد الاجنبي سبيلا الى بلادنا ولا الى نفوسنا . فتقديس الماضي لن يجدينا نفعا ولكن اخذ الماضي مواجهة موضوعية تكشف حقائقه التاريخية الحسنة والقبيحة تساعدنا على فهم احوالنا الحاضرة وتحسين حالنا ومستقبلنا. هذه ابسط مبادىء التاريخ ولا موجب الى اطالة القول فيها .

لقد اكد الرئيس جمال عبد الناصر مرارا وتكرارا كما اكد جهابذة الفكر القومي ان قوميتنا قومية تقدمية وانها انسانية لا عنصرية او جنسية وايجابية لا سلبية وواقعية واعية لا سلفية ولا ارتكاسية وهذا يعني انها لا تقدس الحاضر وتجعله منتجعا لا يضم الا النفيس والثمين بل تعتبره مدرسة نواجه فيها الحقائق مواجهة هادئة متزنة وندرسها دراسة موضوعية واعية .

ان ايماننا بالقومية لا يخولنا فتح ابوابنا الخلفية للدعاوىالرجعية التي تشدنا الى الماضي الزائل وتمنعنا من التقدمولا تسمحلنا بالاقتصار على الاجترار والقعود عن البحث عن غذاء جديد ولا خوف على قوميتنا من الاراء المنحرفة والاغراض الاجنبية . لقد اكسبها تاريخها الطويل مناعة جعل الشخصية العربية شخصية قوية قادرة على هضم الغذاء الجيد وتمثيله وطبعه بطابعها العربي وطرح الضار ونبذه وقد اكسبتنا هذه المناعة وهذا العمر التاريخي المديد القدرة على طرح الزبد واخذ ما يمكث في الارض .

ولا خوف علينا من فتح ابوابنا حضارتنا للاقطار القادمة من وراء حدودنا بل اننا لا نستطيع في عصرنا هذا او لا نملك كما قال الاستاذ الخولي فتح حدودنا الفكريةاو غلقها في وجه الافكار القادمة الينا من العالم من حولنا لانها تأتينا بادارة زر كهربائي صغير او مع طائرة تعبر العالم في ساعات .

ومع نخاف وقد امتازت امتنا بمحافظتها على شخصيتها القومية عبر قرون طوال . لقد احتكت حضارتنا العربية بالحضارات اليونانية والفارسية والهندية فظلت عربية وتحتك الان بالحضارات الغربية والشرقية وتستطيع ايضا ان تبقى عربية انسانية كما كانت من قبل .

واذا كانت قضية التراث لا تثير خوفا ولا تعرض للخطر فيالمجال الاجتماعي او العلمي التطبيقي فانها تثير خلافا وجدلا هو من طبيعة الاشياء في المجال الادبي لان تقييم الانتاج الادبي وتنميته لا يقاس بمسطرة الخير والشر فقط ولا بمعيار الصلاح والطلاح ولا يخضع لعناصر الوعظ الاخلاقي او الديني ليس غير . فالانتاج الادبي يتحكم فيه الذوق الذي يصعب تحليله وتحديد ضوابطه ويخضع للجمال الفني الذي يصعب وزنه بمعيار الخير والشر ولعله لا يخضع لمعيار محلي فقط وان وجد هذا المعيار ولهذا كان ادب الجاحظ وابي العلاء المعري فيآنواحد والامر عينه في ادب شكسبير او برنارد شو او راسين او فكتور هوغو او ابسن او جان بول سارتر او يوجن او تيل وارثر ميلر . فلا ضير اذن من نقل ادب هؤلاء وغيرهم من الاعلام الى العربية مع شيء من الانتباه والحذر ولو نقلنا ادبا رديئا وهو يحصل كل يوم اذا لاحظنا ما تقذفه المطابع فلا خوف على ادبنا وفكرنا لان الادب الرديء والفكر الرديءيموت ولا يخلد الا الجيد والجميل .

يقول الاستاذ لانسون وهو من كبار مؤرخي الادب في عصرنا هذا :

لقد رفع عصر النهضة الاوروبية شعار محاكاة النماذج اليونانية وجعل هذه المحاكاة عادة ادبية . قد علمنا التاريخ الادبي ان عادة المحاكاة هذه تنتج أو تثمر اذا قام ادب بمحاكاة ادب اجنبي اخر واقتبس منه اغراضا وفنونا جديدة .اما اذا تحولت هذه العادة الى ان تحاكي الاجيال الادبية الحاضرة نماذج الاجيال الادبية الماضية عند امة بعينها فان هذه العادة تنقلب الى عامل جمود وتخلف . اي ان الادب يتقدم ويتطور اذا اقتبس عناصر ادبية وفنية جديدة او بعث فنونا ادبية قديمة انقطعت صلتها بادب العصر بحيث يؤوي بعثها الى تجديد من نوع اخر . لان نسيانها في طوايا الماضي جعلها كأن لم تكن . فلما بعثت مال الناس اليهاواستملكوها . لان تعثها نفوس الفنون الادبية بدماء جديدة ايضا . ولكن على الاجيال الادبية ان لا تقف حيث وقف اسلافها المبدعون وعليها ان لا تتخذ من هؤلاء الاسلاف ائمة تجعل اتباعهم دينا وديدنا ومن مؤلفاتهم معابد لا تتجاوز عتباتها المقدسة .بل يتحتم على الاجيال الجديدة ان تمضي هي ايضا في طريق الابداع اذا ارادت لادابها الازدهار وتجنح الى الاقتباس اذا ارادت المضي في الابداع والتجديد . ولنضرب لذلك مثلا : لقد دخل شوقي المسرحية الشعرية الى الادب العربي الحديث فنجح هذا الفن وصارت المسرحية جزءا من ثروتنا الشعرية والادبية فاذا اردنا لهذا الجزء ان يتطور وان ينمو فعلينا ان لا نقلد مسرحيات شوقي ونحاكيها الى ما شاء الله بل نمضي في الطريق التي سار فيها شوقي لنصل الى مغان ابعد واخصب.

ان اعلان الويل والثبور على ادبالغرب في تعميم لا يبقي ولا يذر لا يؤدي الا الى تضييق افاقنا الادبية واذا اردنا ان ننتقد ادب الغرب فيجب ان نحدد ما ننقد فنقول هذا القسم من ادب هذا الكاتب مفيد او جميل وذاك الجزء ضار اوفاسد . فالغرب كلمة واسعة المدلول كامتداد الافق الى الغرب وكذلك كلمة الشرق فهي تشمل اليابانوالصين واقطار اسيا بل اقطار افريقيا عند بعضهم . والتعميم القائم على العاطفة او الخوف او الحذر او العصبية خطأ علمي وتاريخي فاحش .

ان اعداء القومية العربية من شعوبيين واستعماريين يستغلون خوفنا من التجديد لاتهامنا بالجمود ولتبرير سيطرتهم علينا . ويستغلون تشبث بعضنا بالماضي تشبثا متطرفا وتقديس بعضنا للحاضر تقديسا شبه ديني لاتهامنا بالرجعية والسلفية . بل هم يفرحون اذا فعلنا ذلك لكي لا تنفتح امامنا السبل التي قادته الى القوة والسلطان لكي نبقى ضعفاء فقراء نعيش على اجترار ماضينا كما يجتر الشيخ العاجز اقاصيص ايام الشباب دون ان يجديه ذلك نفعا .

لا نريد لقوميتنا ان تنحصر في قوقعة بل نريدها واسعة الافق وعلينا ان نفكر بهذه الاجيال من الشباب التي لن يجديها خوفنا من

الافكار والاداب الاجنبية من الماضي في قراءتها فعجلة الزمن لا تقف عند حد وعلينا اذا كنا بارعين حقا ان نصنع ادبا فيه ما يحببه الى بعض الاجيال لتستسيغه وتقرأه بدلا من اعلان النكير عليهم . وقديما قال ابن المعتز لقد سئم الناس من الادب القديم ومالوا الى ادب المحدثين فهذه سنة الحياة يروح جيل ليبين جيل وينسحب ادب ليبرز ادب اخر.

فالى ادب عربي قومي تقدمي وحدوي انساني واسع الافق بعيد عن التعصب رحب الصدر يأخذ ما في الماضي ويتذوق جمال الادب القديم وفتنة الادب الجديد . والى فكرة او ايديولوجية قومية ايجابية لا عنصرية ولا سلفية ولا غربية ولا شرقية تتطلع امتنا العربية فمعذرة يا قادة الفكر وعزما يا بناة الادب القومي الجديد . الادب الواعي الوحدوي المتزن الحليم الادب الذي لا يمنعه ايمانه المطلق بالاشتراكية والحرية والوحدة الى تذوق كل ما هو جميل وتقبل كل ما هو حري بالاعجاب مترقرق بماء الجمال .

الادب وفلسطين

وفي اليوم الرابع القى الدكتور اسحق موسى الحسيني محاضرة بعنوان « الادب وفلسطين » والسيدة سميرة عزام « دور الادب في معركة فلسطين » . والقى الاستاذ فؤاد الشايب كلمة باسم الوفد السوري .

واختتم مؤتمر الادباء اعماله بعد قراءة التوصيات ، واعلن في الجلسة الختامية تأجيل مهرجان الشعر في تونس ، وتليت برقية اتحاد الكتاب السوفيات بتهنئة المؤتمر ، كما تلي توضيح من اللجنة التحضيرية حول الادباء العراقيين الموجودين في الاتحاد السوفياتي ، هذا نصه :

كانت قد وردت رسالة من عدد من المشتغلين بقضايا الادب والثقافة من العراقيين اللاجئين في الاتحاد السوفياتي ممن شهدهم مؤتمر الادباء العرب المنعقد في الكويت عام ١٩٥٨ يناشدون فيما مؤتمر الادباء العرب الخامس الوساطة لهم في العودة الى العراق .

وعلى الرغم من ان اللجنة التحضيرية مقتنعة ان بعضهم اساء الى الادب والى القومية في فترة المد الفوضوي على عهد عبد الكريم قاسم فقد قامت اللجنة بالاتصال بالمسؤولين لمعرفة حقيقة الامر وحصلت على المعلومات الاتية :

١ ـ ان حكومة ثورة الثامن عشر من تشرين ١٩٦٣ لم تسجن او تعتقل احدا من المفكرين او الادباء لاي سبب .

٢ ـ انها لم تسقط جنسية احد من منتحلي الافكار والعقائد من اي نوع بل انها اطلقت من كان معتقلا منهم واعادت الى بعضهم جنسيته حين تقدم بطلب الى الحكومة العراقية وفق القوانين المرعية اما بخصوص الاسماء التي نوهت عنها رسالتهم فان غالبهم قد ترك العراق برغبته لا بضغط من الحكومة ليعمل في البلاد العربية ومن ظل منهم باقيا في الاتحاد السوفياتي كان قد ترك العراق قبل ثورة الرابع عشر من رمضان في عهد عبد الكريم قاسم ولم يعد للعراق بعد الثورة كما انه لم يصدر بشأنه امر من قريب او بعيد .

٣ ـ ان الذين اسقطت عنهم الجنسية العراقية بموجب قانون اسقاط الجنسية عن المتجنسين بها كان لارتكابهم جرائم مخلة بالامن العام والسلامة الوطنية وهذا القانون يجيز اسقاط الجنسية عمن اكتسبها اكتسابا من الطارئين على العراق لا من ابنائه المولودين فيه وفي وسع هؤلاء ان يتقدموا بطلب الى السلطات لتنظر في امرهم كما فعلت مع غيرهم من امثالهم واعادت لهم الجنسية .

وقد شكر الدكتور سهيل ادريس بادرة فسح المجال للكتاب العراقيين الموجودين في الخارج بالعودة الى العراق .

يسر دار الثقافة ببيروت

بصفتها الوكيلة الوحيدة

لدار المعارف بمصر

في تونس والجزائر ومراكش

ان تقدم كل التسهيلات والخدمات لعملائها الكرام في هذه الاقطار بحيث تؤمن الطلبات لمنشورات دار المعارف بمصر بنفس سعر وحسم مصر .

الفهرس يرسل مجانا لمن يطلبه

راجعوا دار الثقافة ص. ب. ٥٤٣ بيروت

بكل ما تحتاجون اليه من عموم الكتب الدينية